فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"

كيف تثبت على العطاء لله؟

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابـط الـمـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-77609.htm

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أتى رجل إلى أحد الصالحين يشتكي له الحال والضيق فقال الصالح له ألك زوجة؟ قال أجل، قال ألك دار؟ قال أجل، قال ألك دابة؟ قال أجل، قال له أنت غني، قال: عندي خادم، قال أنت ملك.

العطاء إما أن تتركه وإما أن يتركك

ما هي أكثر الأشياء التي تعلقت بها بحياتك؟ هل هي سيارتك؟ أموالك؟ أولادك؟ تجارتك؟ هوايتك؟، لا تفهمني غلط أنا لست ألومك لأنك تعلقت بهذه الأشياء، أنا أريد لهذه الأشياء التي تعلقت بها أن تستمر معك إلى الأبد، لأن الأصل أنها مؤقتة لن تستمر إلا باستثناء.

فهذا العطاء إما أن تتركه وإما أن يتركك، نعم قد يتركك العطاء.. كيف؟ بأن يغير الله أحوال الناس فتنقص أموال الإنسان أو أن يُعْفَى الإنسان من منصبه أو أن يقل مستوى جمال المرأة بتقدم العمر، هذا هو الاحتمال الأول، أما الاحتمال الثاني أن تترك أنت هذا العطاء وذلك بالانتقال إلى الدار الآخرة.

أنا لا أريد أن أقلب الحلقة إلى همّ وحزن، هذا ليس مقصودي بل العكس الهدف من هذه الحلقة أن نجعل العطاء يستمر معك أقصى مدة ممكنة وهذا سيكون بإذن الله عز وجل ولكن بشرط أن نطبق قانونًا معينًا والمسألة ليست صعبة، إذا طبقت هذا القانون استمرت النعمة التي تحبها معك إن شاء الله عز وجل، القانون هو الآتي:

قانون استمرار النعمة

"أي عطاء جميل يعطيك الله عز وجل إياه إذا كنت تريده أن يستمر معك فعليك أن تستعمل نفس العطاء هذا فيما يحب الله أن تستعمله فيه"، عندها سيستمر العطاء معك إلى أن تدخل باب الجنة.

مثال بسيط: إذا زاد راتبك وأردت أن تستمر هذه الزيادة وأن تبقى بركتها فاصرف هذه الزيادة فيما يحبه الله، قد تقول لي هل هذا يعني أنّ كل زيادة تأتيني أصرفها بالصدقات كلها؟

لا، لا أبدًا أنا لم أقصد ذلك، المطلوب هو أن لا تصرف هذه الزيادة في شيء من المحرمات وإلا فتوجد أشياء كثيرة غير الصدقة يحبها الله تعالى وتؤجر عليها في الإنفاق، مثلًا الإنفاق على أهلك في الطعام والسكن واللباس يحبه الله تعالى وتؤجر عليه بل هو واجب فإذا أنفقت هذه الزيادة في مثل هذه الأشياء فإنّ هذه الزيادة ستعقبها زيادة أخرى سواء من راتب أو من غيرها، ومن الأشياء التي يحبها الله تعالى تصرف فيها أموالك قضاء الديون أو إدخال السرور على الآخرين بهدية أو عزومة حتى لو اشتريت شيئًا متطورًا يمكن أن يسهل عليك حياتك كهاتف

حديث، أو جهاز حاسب آلي، فإنه يمكنك أن تستخدمه بنشر أشياء مفيدة عندها سيعتبر هذا إنفاقًا في شيء يحبه الله تعالى وسينطبق عليك قانون استمرار النعمة.

أيضًا جمالك وصحتك لاشكّ أنها عزيزة عليك فإذا أردت أن تنهي هذه النعم في خلال سنوات قليلة فاصرفها في معصية الله تعالى معاكسات أو علاقات محرمة أو تبرج وسفور عندها سينتهي هذا الجمال خلال فترة بسيطة واسألوا أجمل الجميلات عندما كبرت في السن فإنها تتحسر إذا شاهدت صورها في ريعان الشباب.

قد يقول قائل طيب حتى الذين لا يستخدمون هذا الجمال في غير المحرمات سيكبرون ويشيخون، أنا أعرف ذلك ولكن مسألة حسن المنظر ليست مسألة جسدية مطلقة بل هي نفسية في المقام الأول فهذا الذي عفّ جماله وصحته عمّا لا يُرضي الله عز وجل وكذلك المرأة التي عفت نفسها بحجابها وبذلت جمالها فقط بالحلال والزواج هؤلاء جميعًا سيجدون من الناس قبولًا وإعجابًا بهم حتى لو تغير جمالهم وإلا فمن المؤكد فيزيائيًا بأن كل جسد سيتغير ولكنّ إعجاب الناس بك سيتغير .

هذا هو السؤال؟ ألا يحدث لك أحيانًا أن ترى إنسانًا شخصه عادي وإنه كبير في السن ولكنك ترتاح لرؤيته وتجد قبولًا له في قلبك هذا والله هو أكبر مكسب يمكنك أن تحصل عليه من منظرك العام، هذا هو الاستمرار الحقيقي لنعمة الجمال لأنه سيستمر إلى أن تكبر في السن بل حتى إلى ما بعد الوفاة، فجمالك يوم القيامة أخي الكريم وجمالِك يا أختي الكريمة الآن لايمكن تصوره لايخطر ببال البشر بل المرأة الصالحة العفيفة ستملك من الحسن والجمال مايفوق جمال الحور العين في الجنة، لأن نساء الدنيا ممن سيدخلون الجنة أجمل من الحور العين الذين يسكنون الجنة أصلًا كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

لا تدخل الجنة وحدك

وأقترح عليك إذا دخلت الجنة بإذن الله تعالى ألّا تدخلها لوحدك خذ معك العطايا الجميلة التي أعطاك الله إياها في الدنيا، أبناؤك عطية من الله تحبهم أليس كذلك؟ طيب ألا تحب أن تعيش معهم أطول مدة ممكنة؟ بلى والله، طيب، كيف ستجدهم يوم القيامة حتى لو دخلوا الجنة وبإذن الله يدخلونها إن شاء الله قد يكونون في مرتبة أقل منك لأن الجنة عبارة عن مراتب فماذا سنفعل؟

الحل هو الآتي: حاول أن تصلحهم الآن قدر المستطاع في الدنيا وسيضمهم الله تعالى إليك يوم القيامة وستفرح بصحبتهم حتى ولو كانوا في مرتبة أقل منك في الجنة يرفعهم الله عز وجل.

كما قال سبحانه وتعالى في سورة الطور "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ" الطور: ٢١، والذي يكون مع أبنائه في الجنة سيفرح أكثر مما لو أن أبناءه ذهبوا والعياذ بالله إلى المكان الآخر فالحمد لله..

إذًا لا يكن أكبر همك أن يأكل الأولاد أو أن يدرسوا فقط، نعم الأكل والدراسة أشياء مطلوبة لكنها ليست كل شيء، الاجتماع في الآخرة مطلوب أيضًا بل هو الأهم، من أجل أن تستمر معك هذه النعمة إلى الأبد.

نِّعم الله لا تعد ولا تحصى

سبحان الله! العطايا من الله كثيرة لا نعرف كيف نحصيها ولا نعرف كيف نكافئه عليها سبحانه ولهذا لمّا قال تعالى "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"، قال بعدها مباشرة "إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" النحل:١٨، وإذا أعطاك الله عطية فاعلم أنّ هذه العطية ليس سببها أنّ الله تعالى يحبك، أو أنّ الله فضلك بين الناس، لا، هذا العطاء للاختبار، لينظر ماذا ستفعل في هذا العطاء، هل ستفعل مايريده هو أو ماتريده أنت؟

كيف نجعل العطاء يزيد؟

ولقد علمنا كيف نجعل العطية تستمر لكن السؤال الآن كيف نجعل هذا يزيد؟ فإذا كان لديك ألف يكون لديك ألفان وإذا كان لديك ابنان يصبحان ثلاثة، وإذا كان لديك منصب متوسط يصبح صاحب منصب كبير وهكذا، زيادة ليست فقط استمرار.

الجواب؛ يمكنك ذلك باستخدام مفتاح يسمى مفتاح الزيادة هو الذي سيفعل لك كل هذا بإذن الله عز وجل ما هو؟ إنه الشكر، قال تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" ابراهيم:٧

والبعض يستمع هذا قال شكر، بسيطة الحمد لله، يقول الحمد لله وانتهى الأمر، لا هذا ثلث الشكر، بقي ثلثان الشكر ليس سهلًا، وليس مقامًا عاديًا في مقامات الدين؛ لأنّ في الإسلام مقامات كثيرة؛ مقام التوبة، ومقام التوكل، ومقام الرضا، ومقام الخوف، والزهد، والمحبة، والخشية، مقامات كثيرة إلا أنّ أعلى مقامات الإيمان جميعًا هو مقام الشكر كما ذكر ذلك ابن القيم –رحمة الله عليه–، لأنّ مقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، فمن أراد الزيادة في النعم فعليه أن يشكرها، وإن أراد شكرها فعليه أن يطبق ثلاثة شروط..

شروط الشكر:

الشرط الأول: أن يعترف بهذه النعمة باطنًا

أي أنّ قلبه ينسب حصول هذه النعمة لله عز وجل فإذا ربح في التجارة فلا يحدّث نفسه بأنّ هذا الربح حصل بسبب خطته الرائعة في البيع، أو أنّ هذا المنصب اللى حصل عليه كان بسبب خبرته القديمة وأفضليته بين موظفين الشركة، أو أن يحسّ أنه نجح بسبب ذكائه أو مذاكرته، لا لا، بل ضع في قلبك أنّ كل هذا حصل بسبب توفيق الله، فالله هو الذي تفضل بذلك وإلا فكثير من الناس عنده خبرة أكثر من خبرتك ولم يربح بالتجارة كما ربحت، وبعضهم درس أفضل من دراستك ولم يحصل على مثل درجتك، فالفضل لله تعالى أولًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا، هذه أول خطوة للشكر قبل أن تقول الحمد لله وقبل أي شيء.

الشرط الثاني: التحدث بهذه النعمة ظاهرًا

فتقول الحمد لله وإذا مدحك أحد فتقول هذا إنما كان بفضل الله وحده وليس مني كما قال تعالى: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" الضحى:١١، ولكن انتبه إلى أنّ هذا التحدث يجب أن يكون بلا تفاخر ولا غرور لأنّ البعض يتخذ هذه

الآية وسيلة للتفاخر فيقول يبدأ ويقول "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" الضحى: ١١ ثم إذا تكلم فإنّ قلبه يمتلأ تفاخرًا بنفسه ولا يستحضر أنه الآن يثني على ربه، ولكن الشيطان يلقي هذه الآية على لسانه كالتبرير لمدح النفس أمام الناس، فلينتبه الإنسان إلى هذه الخدعة القديمة من الشيطان.

الشرط الثالث: أن يستخدم نفس هذه النعمة التي أعطاه الله إياها بالخير والطاعة

وهو بالضبط القانون الذي ذكرناه في بداية الحلقة لمن أراد أن يستمر عطاء الله تعالى له في الدنيا إلى الأبد. هذا هو التعامل الأمثل مع الله إذا أعطاك، والموفق هو من أحسن التعامل مع ربه فهؤلاء هم القلة من البشر قال تعالى: "وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" سبأ: ١٣، أسأل الله أن يجعلني وإياكم من هؤلاء النادرين في الحياة ، **فليس المهم أن تأتيك العطية في الدنيا، أهم شيء أن يستمر معك أطول مدة ممكنة والأهم أن تجدها معك في الآخرة.**

كيف يفضل بعض الناس الدنيا على الآخرة؟

وأنا والله أستغرب كيف يفضل بعض الناس الدنيا على الآخرة! شيء غريب أنا أستغرب من ذلك كثيرًا!، سأقول لك لماذا هو شيء غريب؟، فلنفرض مثلًا لو أن شركة عملاقة خارج البلاد طلبت منك أن تسافر إليها لتعمل لديها وعرضت عليك العمل عندها لمدة عشر سنوات، والشركة بالتالي يلزمها أن توفر لك السكن في هذا البلد ولكنها خيرتك بين عقدين العقد الأول: أن تسكن في شقة عادية طوال مدة هذا العقد، طوال عشر سنوات، أو أن تسكن في قصر آخر رائع ولكن لمدة يوم واحد، ثم بعد ذلك تخرج منه وتتحمل أنت السكن من جيبك الخاص، بالله عليك ماذا ستختار؟، سبحان الله! وهل يوجد عاقل يختار القصر لمدة يوم واحد وينام بعدها في الشارع؟ طبعًا لا، أكيد سيختار الشقة، خلاص، اتفقنا، طيب.

انسَ العقد السابق وانتبه معي في هذا الاحتمال الثاني وهو أن يكون العقد كالآتي: إما أن تسكن في شقة عادية لمدة يوم واحد، وإما أن تسكن في قصر فاخر طوال العشرة سنوات، الآن ماذا ستختار؟ لا هذه طبعًا ماتحتاج إلى تفكير أبدًا، طبعًا سأختار القصر عشر سنوات، طيب.

سبحان الله! سبحان الله! نفس الشيء بالضبط يحدث بين الدنيا والآخرة إما أن نأخذ عطاءً قليلًا مؤقتًا في الدنيا من الشهوات المحرمة، أو أن نأخذ عطاءً أجمل وأكثر ودائم في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فمن منا الآن سيختار الدنيا؟ هل تصدق أنه يوجد من الناس من يختارها ويترك الآخرة، مع أنه متأكد أن ما في الآخرة هو أعظم وأكرم والله أنا لا أفهم لماذا يفعلون ذلك؟! فعلًا مستغرب لا أعرف السبب لكن سبحان الله! قال تعالى "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" الأعلى١٦:١٧

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا وقرارنا، اللهم آمين والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36